

اجتهادات درس من نصف قرن

لا نستطيع معرفة هل قرأ الجنرال الأمريكي المتقاعد دوجلاس لوت كتاب «خطرسة القوة» الذى ألفه عام 1966 السياسى والمثقف المرموق ويليام فولبرايت. لكن ما قاله لوت عن التخبط الأمريكى فى حرب أفغانستان منذ يومها الأول ينسجم تماماً مع ما نبه إليه فولبرايت، عندما كتب عن خطر فقدان الرؤية بشأن ما يدخل فى قدرات الولايات المتحدة، وما يخرج عنها، نتيجة إساءة استخدام القوة.

كُشف النقاب عن تقييم لوت السلبي للأداء الأمريكى فى حرب أفغانستان، بعد أن نُشر قبل أيام تقرير أعدّه مكتب حكومى مكلف بمراجعة هذا الأداء، وتضمن لقاءات مع أكثر من أربعمئة شخص لعبوا أدواراً مباشرة فيها. وكان لوت أحد هؤلاء خلال عهدى الرئيسين بوش الابن وباراك أوباما. وقد بدا حديثه صريحاً للغاية، ولكنه ليس مستغرباً الآن فى ضوء ما آل إليه الوضع فى أفغانستان، إذ قال إن صانعى القرار فى واشنطن لم يكن لديهم أى فهم لهذا الوضع، ولم يعرفوا فى أى وقت ما الذى يستطيعون القيام به على وجه التحديد.

ولا يختلف هذا التقييم فى جوهره عن تقدير فولبرايت للسياسة الأمريكية عموماً فى مرحلة حرب فيتنام، وهو الذى كان رئيساً للجنة العلاقات الخارجية فى مجلس الشيوخ منذ أن شنت واشنطن تلك الحرب، وحتى قرب نهايتها، ومطلعاً بالتالى على تفاصيلها وقد استخلص منها درساً بليغاً، لم تستوعبه أى إدارة أمريكية حتى الآن، وهو أن القوة الزائدة

تخلق شعوراً بالخطرسة لدى من يملكها، على نحو يدفعه إلى ارتكاب أخطاء فادحة يمكن أن تودى بهذه القوة بعد حين.

كتاب شديد الثراء، نقلته د. منار الشوربجى إلى العربية بلغة بليغة عام 1994، يصلح مرشداً لصانعى القرار فى إدارة الصراعات الإقليمية والدولية، إذا أرادوا تجنب الانزلاق فى حروب تصبح بمنزلة مستنقعات تغرق فيها دولهم، كما حدث للولايات المتحدة فى حرب أفغانستان، وحروب أخرى.

وتكفى الإشارة إلى أن فيتنام أصبحت أحد حلفاء أمريكا فى شرق آسيا، وهو ما رأى فولبرايت قبل أكثر من نصف قرن أنه ممكن فى حالة انتهاج سياسة أكثر رشداً، وأقل خطرسة.